



سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا
Exalted is He who took His Servant [i.e., Prophet Muḥammad (ﷺ)] by night from
al-Masjid al-Ḥarām to al-Masjid al-Aqṣā,

تأملات في سورة الإسراء

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2024-02-05

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:
اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، وبعد:

متى كان الإسراء والمعراج؟

أيها الكرام؛ فإن المسلمين في شهر رجب يستذكرون ذكرى الإسراء والمعراج، والحقيقة أنه لا يوجد إثبات مؤكد لتاريخ الإسراء والمعراج، لكن كثيراً من المحققين ذهبوا إلى أنه كان في 27 من رجب، وقد اتفقوا على أنه كان قبل الهجرة وبعد البعثة، وأنه كان عقب ما سقى فيما بعد بعام الحزن، عام الحزن عام أطلقه كتاب السيرة على عام فقد فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- سنه الداخلي الأول خديجة -رضوان ربي عليها-، وفقد سنه الخارجي عمه أبا طالب الذي كان يذود عنه ويدافع عنه ويحميه من أذى قريش، فذهب إلى الطائف يلتمس من أهلها النصرة، فما كان من أهل الطائف إلا أن أذوه ورموه بالحجارة، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم حتى أوى إلى حائط؛ إلى بستان ودعا بالدعاء المعروف الذي ختمه بقوله: "إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبي حتى ترضى"، بعد ذلك كان الإسراء والمعراج بغض النظر عن تاريخ الليلة 27 من رجب أو غيرها، فقال المولى -جلّ جلاله- في سورة الإسراء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
(1)

(سورة الإسراء)

الربط بين أواخر سورة النحل وبداية سورة الإسراء:

وأريد أن أرجع قليلاً إلى نهاية سورة النحل، قبل الإسراء عندنا سورة النحل، ومعلوم عندكم أن هناك علمًا في القرآن اسمه (علم المناسبات) بحيث تربط أول السورة بآخرها، وآخر السورة بأول السورة التي تليها، فإذا نظرنا في نهاية سورة النحل وجدنا قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (127)

(سورة النحل)

هذا عام الحزن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)

(سورة النحل)

كيف كان الله معه بعد ذلك؟ (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا) دائمًا بعد المحن هناك منح ربانية، وبعد الشدائد هناك شدائد إلى الله تعالى هذه سنة الله في الأرض، لذلك ختم سورة النحل بالأمر بالصبر لأن الوعد قادم، وابتدأ سورة الإسراء بالمكافأة التي نالها النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ استجاب إلى ربه فصبر ولم يضق صدره بمكرهم، فجاءت رحلة الإسراء تسليية لقلبه -صلى الله عليه وسلم-، وإبداءً من الله تعالى بأن الله معك وبأنه ناصرك ومؤيدك تشجيعًا له، تسليية له، مواساة له، لذلك حُتمت الآية بقوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) مع أن ما يُتوهم في ذكرنا أن يكون ختامها لو لم تكن تعرفها (إن الله على كل شيء قدير) فهي تتحدث عن معجزة (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) فهي معجزة، لماذا الختام (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)؟ لقد سمعنا قولك ودعاءك في الطائف، وأبصرنا حالك وما فعلوه بك فأريناك هذه الآيات الكبرى وأسرىنا بك هذا الإسراء العظيم وعرجنا ذلك المعراج المقدس (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، فالله تعالى يسمع دعاءنا الآن عندما ندعو ونتألم لما يحل بإخواننا، ويبصر حالنا ويبصر هواننا على الناس، ورحلتنا إلى بيت المقدس وعد من الله وعرجنا إلى السماء بالصلة بالله، فالصلاة معراج المؤمن أيضًا أمر واقع، فنحن لئن كان زمن المعجزات قد ولى لكن الروح تسري فتسري إلى بيت الله الحرام، وتسري إلى مكة المكرمة، وتسري إلى المدينة المنورة، وتسري إلى بيت المقدس، ونعرج إلى ربنا من خلال الصلاة؛ الصلاة معراج المؤمن، لذلك فُرضت الصلاة في المعراج لأنها معراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات، فقال: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

معنى التسبيح و لماذا بدأت سورة الإسراء بالتسبيح؟

أحبانا الكرام (سُبْحَانَ) التسبيح والتنزيه، أن أنزه الله عن أن يشبه شيئًا من مخلوقاته في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاطِرٌ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ اللَّغَمِ أَزْوَاجًا يَدْرَأُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)

(سورة الشورى)

هذا هو التسبيح، الله تعالى حاشاه أن يكون مثل مخلوقاته في ذاته ولا في صفاته، فأنت تسمع وهو يسمع لكن أين سمعه من سمعك؟! سبحان من وسع سمعه الأصوات! ونحن لا ندرك ذاته فمن باب أولى أننا لا نستطيع أن ندرك كيف صفاته فنغفوض الأمر إليه، فنقول: إنه يسمع ويبصر، لكن كيف يسمع ويبصر؟ لا ندري لأننا لا ندرك الذات أصلًا، فكيف ندرك الصفات؟! تمامًا كأن أقول لك مثلًا، إذا قلت لك: يد الطفل، مباشرة يتبادر إلى ذهنك تلك اليد الجارحة التي فيها خمسة أصابع، كلنا نتبادر إلى ذهننا اليد، إذا قلت لك الآن: يد الإبريق، ما يتبادر إلى ذهنك أبدًا الخمسة أصابع يتبادر إلى ذهنك تلك الحلقة التي توضع على الإبريق ليحمل بها، لماذا أدرك الآن صفة اليد؟ لأنني أعرف الذات، لكن لو قلت لك الآن: يد الباب، تدرك أنها قبضة الباب، لو قلت لك: يد الحائط، يد الحائط؟ ما عندك تصور متى كان لحائط يد، فالله تعالى له صفات صفاته علية -جل جلاله- نثره أن يشبه فيها أحدًا من خلقه، وله أفعال وحاشاه -جل جلاله- أن يشبه أحدًا في أفعاله، فنحن نرجم هذا فعل، فنحن نعرج على ابنا ونضمه إلى صدرنا هذه رحمتنا، لكن كيف رحمة الله؟ أعظم مما نتصور، وأكبر مما نتخيل، فسبحان أي نحن ننزه الله، ننسجحه، ننزّهه عن كل نقص أو عن كل شبه بمخلوقاته في ذاته وصفاته وأفعاله، لكن متى نقول أكثر نحن سبحان الله؟ إذا رأينا ورده جميلة خلق من خلق الله مبدع، نقول: سبحان الله! نظرنا في البحر في تصوير علمي فأرانا الأنواع من الأسماك نقول: سبحان الله! أو رأينا فعلًا من أفعاله عجيبة -جل جلاله- كأن أهلك عدوًا باطنًا، كأن أهلك مرابيًا كان يُقال فيسمع لقلوه فإذا به في فراشه لا يقوى على الحراك، نقول: سبحان الله! فنحن ننسج الله عند رؤية أمر عجيب، لذلك جاء مطلع الآية بالتسبيح لأن ما بعدها أمر عجيب أن يذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى بيت المقدس في ليلة واحدة ويُعرج به إلى السماء بل في جزء من ليلة، تعطل الزمان أمر عجيب، عجيب عندنا في قوانيننا لكنه عند الله كن فيكون، فهو خالق الزمان المكان (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ).

هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد أم بكليهما؟

وقال: **(يَعْتَدِهِ)** لنفي شيء وهو أن يقول قائل -كما يحلو للبعض-: إن الإسراء كان رحلة منامية، أين المعجزة في كونها منامًا؟! أنا اليوم أأمر فأرى نفسي في بيت المقدس، فهل أقول أنها وقعت معجزة؟ أين الإعجاز؟ فقال: **(يَعْتَدِهِ)** أي بنفسه و بروحه وجسده -صلى الله عليه وسلم- به أسرى وليست رؤية منامية كما يحلو للبعض أن يفسرها من أصحاب المدرسة العقلانية التي لا تمت إلى العقل بصلة؛ لأن العقل لا ينكر وقوع الإسراء، ولو وقع اليوم في عصرنا أن قال أحدهم: ذهبت إلى فلسطين وعدت في ليلة واحدة، لما قال أحد منا إنها معجزة لأن الظروف تغيرت، فالعقل لا يحيل وقوع ذلك، ولكن العادة كانت تحيله في ذلك الزمن لعدم توفر المعطيات العلمية التي تجعل الإنسان ينتقل رحلة طويلة في وقت قصير، وقد باتي زمان على الناس -والله تعالى أعلم، والله يخلق ما يشاء- فتصبح الرحلة في 10 دقائق من مكة إلى بيت المقدس، اليوم ساعتان ممكن تصبح 10 دقائق، ما يوجد شيء يمنع عقلاً أن يحدث ذلك فقال: **(يَعْتَدِهِ)**، والأمر الآخر أنه لما قال: **(يَعْتَدِهِ)** عظم جانب العبودية، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لو شئت أن تقول إنها معجزة لكان في ذهننا أن يُقال: نبيه، برسوله، لكنه قال: **(يَعْتَدِهِ)** لأن **أعظم مقام يبلغه الإنسان هو مقام العبودية**، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هذه الرحلة العظيمة ما ترك عبوديته لله حاشاه -صلى الله عليه وسلم-، فعاد ليجالس الفقراء، وعاد ليقول: لكنني أفقد جليبيبا، أين جليبيب؟ هذا الفقير الدميم الصورة، وعاد ليقول لما دفنوا امرأة في الليل تُقَم المسجد ولم يعلموه، يغضب ويقول: أفلا أذتموني؟ فقام فوقف على قبرها فصلى عليها، وعاد لتأخذ الجارية بيده فتقوده إلى حيث شاءت، ما تخلى عن أنه عبد لله، اليوم ربما بعض الناس يذهب إلى بلاد في الغرب ويغيب بها سنين ثم يعود فيستحقر أهل بيته وأهل زمانه وأهل بلده ويشيد بحضارة هؤلاء وثقافتهم ويعلمهم، ولا يجلس مجلسًا إلا ذمنا و انتقص منا ويئن ثغراتنا بينما بين محامدهم و يتغافل عن سيئاتهم وهي زيارة إلى غرب الأرض، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم ينتقل إلى غرب الأرض وإنما انتقل إلى السماء السابعة ثم عاد ليجالس المساكين والفقراء لأنه يدرك معنى العبودية، بل إنه -صلى الله عليه وسلم- أعظم من عبد الله، فقال: **(سُحْنَنٌ لِدَيْتِ أَسْرَى يَعْتَدِهِ)**، وقال: **(لَيْلًا)** مع أن كلمة أسرى تعيد الليل لأن السرى هو المشي ليلًا، لكن قال: **(لَيْلًا)** للتأكيد.

أهمية المسجد الأقصى و الربط بينه وبين إفساد بني إسرائيل :

(مَنْ لِمَسْجِدٍ لَحْزَامٍ إِلَى لِمَسْجِدٍ لَأَقْصَا) وهذه إشارة إلى أن بوابة السماء في هذا المسجد العظيم وأنه أمانة في رقاب المسلمين وأن عليهم أن يحموه وأن يناصروه، **(لِدَيْتِ بَرَكَةً حَوْلَهُ)**، ونحن في هذا البلد الطيب بركتنا لأننا حول المسجد الأقصى، والشام مباركة لأنها حول بيت الله المسجد الأقصى **(لِثِرْتَهُ مِنْ ءَأَيْتِنَا إِنَّهُ هُوَ لَشَمِيعٌ لِنَصِيرِ)**، ثم يقول المولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَيْتِنَا مُوسَى لِكَيْتَبَ وَجَعَلْتُهُ هُدًى لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا (2)

(سورة الإسراء)

هنا أيها الأحباب فورًا هناك ربط، قضية المسجد الأقصى لها علاقة مباشرة بإفساد بني إسرائيل، فجاء الحديث عن بني إسرائيل عقب معجزة الإسراء في إشارة إلى أن المسلمين وأمورون بحماية المسجد الأقصى وأن هؤلاء سيفسدون فيه، إلى أن قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَصَّيْنَا إِلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ فِي لِكَيْتَبِ لِنُقْسِدَنَّ فِي لَأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4)

(سورة الإسراء)

القضاء هو حكم، والقاضي يحتاج إلى بينات وشهود إلا أن الله تعالى لا راد لقضائه فهو لا يحتاج بينة ولا شهود، فإذا قضى فقاؤه نافذ، **(وَقَصَّيْنَا إِلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ)** بنو إسرائيل؛ **إسرائيل هو يعقوب** -عليه السلام- ومعناه في العبرية عبد الله، بغض النظر عن تسميتهم به دولتهم المزعومة عدواتًا وطلقاتًا وبهتاتًا، لكن أصل الكلمة هو يعقوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ لِمَطْعَامٍ كَانَ جَلًّا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ لِنُورِهِ لَقُلْ قَاتُوا لِنُورِهِ فَتَلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)

(سورة آل عمران)

وهو يعقوب، فهم بنوه، وهذه ليست مدحًا لهم وليست ذمًا وإنما هي توصيف، مبدئيًا هي توصيف، ففي العصور التي كانوا فيها في طاعة الله وفق كتابهم التوراة مُدحوا على ذلك، وعندما تخلوا عن دينهم وعانوا في الأرض فسادًا ذموا على ذلك، وفضلهم الله تعالى وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة البقرة)

لكن تفضيلهم لا يقتضي الأفضلية، فليس كل مفضل فهو الأفضل، فأنت قد يكون لك ولدان أحدهما متفوق جدًا فتتركه لمدرسته بدرس وبنجح وأخذ أعلى العلامات في الثانوية، ولديك ولد آخر مقصر فتفضله بمجموعة من المدرسين الخصوصيين وتدفع له الآلاف المؤلفة، فهل هو أفضل عندك من الأول؟ لا، فأنت قد تفضل المقصر بشيء فلا يعني أنه الأفضل، والله تعالى فضلهم فأرسل إليهم الأنبياء، فما الذي كان منهم؟ قتلوا الأنبياء، فهل هم الأفضل بقتلهم الأنبياء؟ معاذ الله، لكن الله فضلهم فكانت التفضيل وبإلا عليهم، ونحن أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- قد فضلنا الله تعالى بنبي هو خاتم النبيين، وهو أعظم النبيين، وهو صاحب ذكرى الإسراء والمعراج، وهو من هو، فإذا اتبعناه فنحن الأفضل- إن شاء الله-، وإذا فطرنا وتركنا منهجه فنحن لسنا الأفضل، فالفضية لا علاقة لها بمدح هؤلاء ولا بدمهم وإنما هي توصيف، فمن يتبع الهدى فهو مفضل عند الله وهو الأفضل، ومن لا يتبع فقد يكون مفضلًا ثم لم ينفعه هذا التفضيل بشيء، فيكون خسارًا ووبالًا عليه، **(وَقَصَّيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ فِي توراتهم، وهؤلاء بنو إسرائيل كان في كتبهم ما يبين بجلاء وبوضوح أنه سيأتي نبي في آخر الزمان، وأنه يجب عليكم أن تؤمنوا به.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ قَرِيْبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ لِحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)

(سورة البقرة)

كان أحدهم من يهود كان يقول: والله إنني لأعرف محمدًا في كتابي أكثر مما أعرف ابني، أي أنا ابني في ظن منه أن يكون ابني، لكن صفة محمد- صلى الله عليه وسلم- في كتبنا واضحة، وكانوا يقولون للعرب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَمَّا جَاءَهُمْ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)

(سورة البقرة)

سيأتي نبي في آخر الزمان وسنؤمن به وسنقتلكم قتل إرم وعاد للمشركين، **(فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)** أي ليس هناك أسوأ عند الله ممن يعرف الحق ويحرفه، قد يضل الإنسان عن الطريق فلا يعرفه، وهذا خطأ كبير لكن الأعظم منه من يعرف الطريق ثم يخيد عنه، وهو ما فعله كثير من بني إسرائيل، فقال تعالى: **(وَقَصَّيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ نَحْمَدُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)** مع التوكيد نون التوكيد الثقيلة أي الإفساد واقع؛ هذا قضاء الله، **(لَتُفْسِدُنَّ)** هذا قضاء الله لا يعني أنه رضيه، ولا يعني أنه يحبه، ولا يعني أنه يأمر به ولكنه قضاء- جلّ جلاله- لحكمة عظيمة عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها.

(لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) الإفساد أن تخرج الشيء عما خلق له، هو خلق للصالح، ربنا -عز وجل- خلق الماء صالحًا للشرب يخزن في الأرض، له مخازن في الجبال ومخازن في الأرض ونشره عذبًا زلالًا، فإذا أقمنا معملًا لصناعات بلاستيكية عند مصادر المياه ولوثنا المياه أفسدناه، المرأة ربنا- جلّ جلاله- خلقها لتكون أمًا وزوجة وأختًا و جدة في المستقبل، ولتكون مصانة وليكون لها الطهر والعفاف والخير والبركة، فإذا جعلناها إعلاتًا لسلعة تجارية فقد أفسدناها، ربنا ما خلقها من أجل أن تعلن تجاريًا وتلبس ثيابًا فاضحة لتندك لتشتري سلة قمامة، ربنا لم يخلقها من أجل ذلك، خلقها لتكون مكرمة معززة في بيتها لكنهم أفسدوها، **فالإفساد أن تخرج الشيء عن أصله إلى ما يفسده، وهؤلاء بنو إسرائيل أفسدوا في الأرض (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ) أهلكوا الحرث والزرع والنسل.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ لِقَسَادَ (205)

(سورة البقرة)

فأهلكوا الحرث، وأهلكوا النسل، وأهلكوا الأولاد، وضربوا المستشفيات، وما تركوا شيئًا إلا أفسدوه، المنحرف عن منهج الله فساد بإفساد كله، والملتزم بمنهج الله يُصلح، فقال: **(وَقَصَّيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا).**

تفسير العلماء لوقت إفساد بني إسرائيل:

متى كانت هاتان المرتان؟ كثير من المفسرين ذهبوا إلى أن تلك المرتين قد انقضت عهدهما قبل الإسلام، وأن القرآن يتحدث عن شيء تاريخي فقالوا:

1-الأول: عندما كان جالوت ثم قتل، ثم سلطه الله -وجالوت ليس مؤمناً- سلطه الله عليهم بعد أن تركوا التوراة، وهم التزموا بالتوراة فترة وكان عندهم التابوت الذي فيه بقية مما ترك آل موسى وأل هارون ثم انحرفوا عن منهج الله تعالى فسلط الله عليهم جالوت فجاس خلال الديار وقتلهم وأنهى وجودهم إلى أن عادوا إلى ربهم وبعث الله لهم طالوت، وداوود قتل جالوت، قالوا: هذا الإفساد الأول.

2- وأما الإفساد الثاني: فكان بعد ربح من الزمن بعد أن انتشروا في الشرق والغرب فجاء بختنصر وقضى عليهم، فقالوا: الإفسادان قد مضى وقتهما وربنا يتحدث عما مضى، وهذا ما عليه كثير من المفسرين، وبعض المفسرين قالوا: لا، الإفسادان هما في حضن الإسلام بعد الإسلام، ربنا يتحدث الآن عما هو كائن وسيكون وليس عما قد كان وانقضى، ولهم في ذلك أدلة:

أ- الدليل الأول: قالوا إن الله يتحدث عن وعد، والوعد يكون لما سيأتي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَاسٍ ۖ شَدِيدِ ۖ فَجَاسُوا جُلُلًا ۖ لَدَّيَارٍ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (5)

(سورة الإسراء)

فيتحدث عن شيء وعدنا به، وما مضى لا يسمى وعدًا لأنه قد وقع وانتهى، فأنا لا أعدك بشيء مضى وإنما أعدك بشيء سيأتي.

ب- والأمر الثاني قالوا: إفسادهم قبل الإسلام لم يكن مرتين، أي قتلهم الأنبياء إفساد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجُوزُنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ لِنَبْتَلِيَ أَتَقُوتُوا عَلَىٰ قَوْمٍ ۖ يَعْكُفُونَ ۖ عَلَيْنَا أَضْطَامٌ ۖ لَهُمْ قَالُوا يُمُوسَىٰ ۖ جَعَلْنَا لَهَا لَهَا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۖ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138)

(سورة الأعراف)

عبدوا العجل، ما تركوا شيئاً إلا وأفسدوا به، فأين المرتان بالموضوع؟ هي إفسادات متكررة وكلها كبيرة.

ج- والأمر الثالث قالوا: ربنا -جلّ جلاله- يقول: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا) فيمدح هؤلاء العباد، ولا يمدح بختنصر ولا جالوت وهما غير مؤمنين أصلاً، فهل يسميهم الله عبيداً لنا؟ لأن العباد في الأصل لا تطلق إلا على عبد الشكر، وأما العبيد فهم عبيد القهر، ربنا -جلّ جلاله- يوم خلقنا قهرنا بأشياء فنحن كلنا عبيد له، أي أنت قطر شربانك التاجي أنت عبد لله به؛ لأنه إذا ضاق جلطة والعياد بالله -تسأل الله العافية- نحن مقهورون، أنت تحتاج شربة الماء فأنا وأنت عبد، وأنت تحتاج لئخرج شربة الماء فنحن عبيد لله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ ضَلِيلًا فَلْيَنْفِسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ ۖ لِلْعَبِيدِ (46)

(سورة فصلت)

لكن وعباد الرحمن هم عباد الشكر الذين لما كلفوا اختاروا، اختاروا طوعاً أن يطيعوا الله هؤلاء عباد وليسوا عبيداً، نعم وردت بعض الآيات فيها عبادي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمُ ضَلُّوا ۖ لَلسَّبِيلِ (17)

(سورة الفرقان)

قالوا: هذه في الآخرة؛ لأنه في الآخرة لم يعد هناك قهر وشكر كله مقهور، أما في الدنيا الغالب أن العباد للشكر والعباد للقهر، فقالوا: قوله تعالى: **(بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا)** ثم ينسبهم لنفسه **(لَنَا)** يدل على أن من سيقضي على هذا الفساد ليس جالوت وليس بختنصر وإنما من سيقضي عليه هو عباد الله الموجودون المؤمنون، وهذه الأدلة قوية الحقيقة في بابها، ويستعرضها الشيخ الشعراوي -رحمه الله- في تفسير سورة الإسراء بشكل جيد هذا ملخصها، فقالوا: الإفسادان سيأتيان؛ **فالأول هو ما حصل منهم من يهود بني قينقاع وقريظة** لما أجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن المدينة، لما دخل المدينة سالمهم وأبرم معهم صلحًا وموائيق ثم إنهم كعادتهم بقضوا الموائيق وخانوا العهود فأجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة، ثلاثة أجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقوله تعالى: **(فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَئِهِمَا)** أي وعد الإفساد الأولى التي كانت منهم بنقض العهود **(بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى تَأْسٍ شَدِيدٍ)** هم جيش النبي -صلى الله عليه وسلم-، **(فَجَاسُوا خَلَلًا لِدَبَابٍ)** أي تتبعوكم في كل مكان، وهذا جرى بإجلائهم عن المدينة بشكل كامل **(فَجَاسُوا خَلَلًا لِدَبَابٍ)** وكأنه جاس من بحث وتبعه حتى لم يبق له أثر **(فَجَاسُوا خَلَلًا لِدَبَابٍ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا)** هذا الوعد الأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا (6)

(سورة الإسراء)

(ثم) للترتيب على التراخي، أي امتد زمناً من عهد النبوة إلى أن جاء الـ67، فكان من جديد أن علوا هذا العدو الذي سماه الكبير-جل جلاله- **(عُلُوًّا كَبِيرًا)** تخيل الكبير بسمي العدو كبيراً فما عساه أن يكون؟! قال: **(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ)** من الكر والفر؛ أي الغلبة من جديد؛ وهذا قانون رباني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ لِقَوْمٍ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)

(سورة آل عمران)

والمداولة لا تكون بين مؤمن ومؤمن، أو بين كافر وكافر، وإنما تكون بين مؤمن وكافر، المداولة أي تنتقل قيادة الأرض وقوتها من يد الموحدين إلى يد الكافرين، وهذا لا يكون إلا بتقصير من المؤمنين وقرؤوا التاريخ، المسلمون لما كان يضعف حالهم وتنتهي قيادتهم؛ الأندلس، الخلافة العثمانية، الدولة الأموية، اقرأ التاريخ، كلنا عندما كنا متمسكين بديننا حقاً؛ هذه سنة الله في المسلمين، ليس في كل الناس، سنة الله في المسلمين أن الإنسان المسلم عندما يحيد عن دينه يخرج عن خلافة الأرض، وهذا القانون العمري قال عمر -رضي الله عنه-: **"نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله"** القانون العمري، فهمها سيدنا عمر المعادلة، هم بماذا أعزهم الله؟ ربما أعزهم الله بأموالهم وأولادهم ودولهم وقواهم والأمم المتحدة ومجالس الأمن لهم قانون آخر، لكن نحن المسلمين ربنا -عز وجل- أراد أن تكون العلاقة معه مبنية على طاعته، فمتى نصرناه نصرنا، ومتى -والعباد بالله- خذلناه خذلنا، فقال: **(فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَئِهِمَا)**، ثم يقول: **(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ)** انظر إلى الوصف القرآني الذي يناسب الواقع اليوم **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ)** كم الأموال اليوم التي تُدفع من 120 يوم فقط في هذه الحرب؟ مليارات، وقال: **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ)** أي ليست ذاتية وإنما هناك من يمدهم بإرادة الله ليس برضاة-حاشاه- ولا بأمره لكن يسمح بذلك -جل جلاله-، **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ)** هم الآن يعلمون الأجيال، ويعلمون الأولاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِمَالٍ وَلِلنَّبِئِينَ رَبِّنَا وَلِلْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَصَلِحْتُ حَبْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَحَبْرٌ أَمَلًا (46)

(سورة الكهف)

الدنيا كلها مال ونبون **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا)**، **(تَفِيرًا)** أنت تستنفر شخصاً فينفر معك، الآن استنفرُوا الأرض كلها لهذه الحرب، لهم تغير غير طبيعي ينفرون معهم؛ أي ما أكثر من ينفرون معهم من المرتزقة ومن مجالس الحقوق...، ما أحد يستطيع أن يوقفهم عند حدهم **(وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۗ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ آجْرِهِ لَنْ يَسُؤَ وَجْهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا (7)

(سورة الإسراء)

